المواعيد

— ١ —

أتحف « البيان » اديب عراقي كبير ، وكاتب موهوب في هذه الرسالة عن (المواعيد وسنوالي نشرها تباعاً في اعداد هذه المجلة مقدرين لكاتبها المعروف تفضله « وهو خارج العراق » بهذا البحث الممتع الذي فيه نصيحة خالصة للحكومة وخدمة صادقة للشعب؟ البيان

« واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » القرآن الكريم

اللهم انك نعم العون على تدليل كل صعب ، وانت الموفق للصواب والهادي الى الرشد والفلاح ؛ عليك الاتكال وفيك الرجاء فاهدنا الى سواء السبيل .

منذ زمن بعيد ، ولعله زمن قد طوى سنوات غير قليلة وأنا تساورني فكرة اظن ان فيها خدمة للامة ونصيحة للحكومة ، فهي فكرة ذات شأن في تدعيم كيان دولتنا الفتية

---

٥ ـ احداث روضات للاطفال في سائر القرى والارياف لوجود ساحات زراعية كبيرة يعوزها التنظيم والتنسيق ولا تكلف نفقات كبيرة ، والى جانبها تقتنى الدواجن التي يستفاد من انتاجها في تغذية اطفال القرى الذين تعوزهم الصحة والغذاء

٦ ـ إنشاء بيوت ومساكن صحية تكفل حياة المعلم وهدوءه النفسي .

٧ ـ انشاء مستوصفات للمعارف جوالة تقضي على الامراض التي تهدد حياة الاطفال .

٨ ـ انشاء مكتبات جوالة لتسد حاجة الاطفال والمعلمين معاً.

علي الخاقاني

ولمعالجة داء قد استشرى وقد ساد في بعض دوائرنا فانكوى بناره المراجعون من اصحاب المصالح والمراجعات وراحوا من جرائه متبرمين نافرين شاكين .

ذلك الداء ـ داء المواعيد — الذي تمسك بأهدابه نفر غير قليل من ابناء هذا الشعب — موظفين وغير موظفين — واتخذوه وسيلة مغرضة لتأخير انجاز حاجات ذوي الحاجات ولارهاق ذويها بأغلال المراجعات المتكررة والأتعاب الناصبة في احالتهم على الزمن وعلى اليوم بعد اليوم !

ولم تكن (المواعيد) في وقت من الاوقات الا عنواناً على حقيقة ثابتة لاتتغير أبداً هي تحديد وتوقيت زمني لانجاز الحاجات عند الساعة التي ضربت لها وعينت من أجلها ، وما ضارب الوعد الا مسؤول عن الوفاء بما الزم به نفسه وعاهد عليه من قصده واهل فيه نجحاً لمسعاه ، واذا اخترمت هذه الحقيقة فقد انحل معها نطاق الصدق وضاع الحق وتحطمت آمال الناس واستحالت « المواعيد » اثماً شائناً وكذباً واضحاً دالا على ضعف في المروءة وعلة في الضمير ، إذ يعود ذوو الحاجات يحتقبون الحرمان ويتعثرون بالخسران ، وبألسنة طليقة بما يستحقه مخلف الوعد من لوم وتجريح . .

وليس يخاف على اهل السؤدد وذوي النهى مافي التلاعب « بالمواعيد » من اضرار مادية ومعنوية تشمل الواعد والموعود معاً .

فصاحب الوعد اذا اخلف وتراجع عما وعد به فانه يصبح سليب الثقة عديم الاعتماد على قوله وقسمه ويغدو ولا معول عليه ولا تفتأ الألسنة تتخذ منه غرضاً لسهام نقدها وذمها ولقد كان هذا في نجوة من الذم الذي لازم ذكره لو انه قال (لا) بدل (نعم) او قال (نعم) وسار على « نعمه » حتى يتم الجميل ويكسب المدح والثناء .

... صاحبه (تيتوس) فان أقل ضرر يلحقه فيهوما يكابده من حرارة الانتظار — والانتظار اشد من القتل ! — ومن تعطيل لكسب قوته وضياع راحته وزمنه جميعاً.

والحق ، ان قوانين الدولة قد حظرت المواعيد الكاذبة ووقفت حاجزاً منيعاً دون هذه الاساليب الباعثة على النفرة والاشمئزاز من الموظفين اذا مطلوا مواعيدهم فى قضاء حاجات الناس وان المخالفين لتلك القوانين معاقبون ومجزيون بالاساءة اساءات ، ولكن بينهم من لم يردعه القانون ولم ينتبه بين جنبيه ضمير فظل سادراً في مماطلة ذوي الحاجات مهملا مصالحهم على الرغم مما يصيب هؤلاء — المراجعين — من حيف واضرار .

* * *

ونحن فى غنى من قولنا ، لو ان كل موظف ادى عمل يومه كاملا ، دون ارجائه الى غده وبعد غده لجرى دولاب الدولة على سبيل لاحب ومنوال صحيح سليم ولاختفت شكوى زيد وتذمرات خالد من ان بين المسؤولين من يقول ولا يفعل ويعد ولا يفي ويزعم ثم ينكص على عقبيه كأنه لم يعد ولم يقل ولم يطوق ضميره بحل القضايا وارجاع الحقوق الى اصحابها ... !

ومن كان الخلف شعاره والجحود هجيراه فلا يلومن الا نفسه اذا جفاه الاقربون ونال منه البعيدون ، ومن جلب الشر على منزلته — واخلاف المواعيد شر — كان كمن استهدف لهجاء الناس لينالوا من مكانته وشخصيته !

* * *

ليس في الناس فرد الا وله حاجة جديدة فى كل يوم جديد ، والدنيا حاجات وعمل متواصل مستمر استمرار الحياة ولن تنقضي حاجة الا وتليها حاجة اخرى ، فالحياة كلها عمل وحاجة وانشاء على هذا المحور يدور دولاب الزمن ، وانما :

« تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة مابقي »

وما هذه الدوائر الرسمية المبثوثة في جنبات العاصمة وفي ارجاء الأقوية الا مناهل اوراد — من مختلف الحاجات — ولن تصلح الدولة الا اذا كانت تلك المناهل عذبا زلالا يطفي غلة الصادين ويبري من هموم الحاجات ، فيصدرعنها الواردون ريانة اكبادهم قريرة عيونهم بما لاقوا من وفادة الدولة وعناية الموظف وقضاء الحاجات ...

هكذا يجب ان تكون دوائرنا ويكون موظفونا ، مناهل عذبة باسمة تتلقى مراجعيها بما يستحقون من تعجيل امورهم وتسريحهم بانجاز رغائبهم من غير وعد يتلوه وعد ومن غير تعبد يأتي على أثره خلف ، وكد وجحود مطلق

وانه لمن المؤسف حقاً ان يكون بين هذه المناهل من ماؤه ملح اجاج يزيد حرارة ذوي الحاجات المستعجلة اواراً متقداً ويضيف الى حرمانهم من حقوقهم المهظومة حرماناً آخر !

ولم يكن للملح الاجاج ولا للسراب الخادع ولا للبرق الخلب حامد في الناس ما ظل الليل والنهار يتعاقبان .

* * *

وانك لتعلم ، وكل انسان ذي بصيرة يعلم ، ان صاحب الحاجة اذا قصد الدائرة الرسمية لا يطلب مستحيلا ولا يستنجز ما يعجز هذه الدوائر عن الوصول اليه ، كلا ؛ انما هي معاملات اعتيادية يسيرة الحل قريبة التناول ، يحررها قلم وتطويها كف ويمشي بها قرطاس !

ما اجل الجميل واحسن الاحسان ؟ !

اليس من الجميل ان تصرف ذوي الحاجات بقضاء حاجاتهم ؟ أو ليس من الحسن ان تحسن الى عملك وواجبك

وآجالك ؟

اجل ...

بين من يراجعونك لقضاء مصالحهم ، مظلوم قعد به ضعفه عن الاحتفاظ بحقه ، وامرأة اعوزها الناصر فاسرعت اليك لتحميها من خطر او ظلم احدق بها ، وشريف نبيل عدا على حقه وغد لئيم فهو يلوذ بكنفك لتقيه شراً من شرفاي هؤلاء تعده وتخلف معه ؟ بل أيهم احق بالمواعيد تتلوها مواعيد ومن ثم نتيجة سافرة لا رداء يستر عوارها هي خلف بالوعد وكفى !!

فما احسن « نعم » وانجاز ما تقتضيه نعم !

وما احسن « لا » وما تفيده « لا » من راحة لا نصيب فيها ومن حقيقة بادية لمتلقيها ! فانه ينصرف عنك بـ « لا » الى وجهة اخرى واتكالا له على الله والله ولي عبده ما كان عبـــده على الحق

وانك لتنصف نفسك اذا وثق الناس بك ، وثقوا بقولك وثوقهم بفعلك ، والانسان ابن نفسه وتاريخ فعله :

***

فالوفاء بالعهد والصدق بالوعد ، وبالقول يتبعه الفعل ، كل ذلك صفات الرجال الحميدة وهي المزايا الغر ، والمكارم المقلدة بالمحامد والثناء ؛ بها تصان النفوس وتحفظ الاعراض وعليها تقام اعمدة المجد والفخر ، ورعى الله من يرعى الذمم ويحوط الحقوق ويقيل العثرات .

فالصدق بالقول والفعل استجابة لله ، وكفى بالقرآن شاهداً ودليلا ، قال عز من قائل « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » .. فقد جعل الله صدق الوعد مدحاً في كتابه وفخراً لانبيائه صلواته عليهم .

وأشار القرآن الكريم في موضع آخر بل في مواضع عديدة الى الذين نحن بصددهم فقال « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » فقرن المقت العظيم بالقول الذي لا فعل معه ، وهل بعد الله وكتابه زاجر لمخلفي الوعود .؟!

ولقد قال بعض العلماء تعليقاً على هذه الآية الكريمة « لو لم يكن في خلف الوعد الا هذه الآية الكريمة لكفى بها ذماً لمن يعدون ويخلفون ويتشدقون بالقول ثم ينكصون »

ولما أراد النبي عليه الصلاة والسلام ان يبعث معاذ بن جبل قاضياً الى اليمن أوصاه ومما قاله (ص) : « أوصيك بتقوى الله وعد المريض واسرع في حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم .. »

وبهذا ونظائره حث القرآن المجيد واوصى الانبياء وتواترت الأحاديث الشريفة وقالت الحكماء والشعراء وضربت بها الأمثال والحكم الرفيعة وكان « للمواعيد » في الأدب العربي مجال فسيح ، فقالوا فيها مدحاً وذماً ؛ وذلك لان الوفاء بها من شيم الاحرار ، والصدق بها فضيلة لا يحسن النهوض بها أهل الصدور الضيقة والنفوس المنطوية على غش واحقاد ...

***

والقول في « المواعيد » موضوع له خطره وشأنه فهو موضوع يتصل بصميم الدولة واصلاح الرعية لانه الفصل في مشاكل الناس وقضاء حاجاتهم والسهر على انجازها ، وقضاء المصالح وفض الخصومات لا يكون بالمواعيد والاحالة على الايام والأسابيع والشهور ...!

وما علة قيام الحكومات في العالم الا لانجاز هذه الحاجات في مواعيدها تعادياً من الظلم ودفعاً للضرر الذي يرافق المراجعين

كلما طالت بهم مراجعاتهم ، وانه لن يكون فساد او تعطيل في المصالح العامة اذا أدى كل مسؤول عمله اداء صحيحاً سليما بلا كدر يبطل صنيعه ولا مين يسبب الجفاء بين الحاكم والمحكوم ، عدا ما يمكن احتمال حدوث نكبات وارافة دماء اذا طال حبل النظر في حسم النزاع الناشب بين المتخاصمين

وقد قالوا « الحاجة لا يكون معها صبر »

وأصدق ما قيل فيها قول القائل (صاحب الحاجة أعمى ...)

فمن الظلم ان تدع هذا الاعمى يتخبط في عماه ! فالحق يقتضيك بأن يصدر عنك وهو ناظر بعينيه مادمت تملك الدواء الذي يعود به بصيراً

أحبب بدولة يسودطبقتيها ـ حاكمة ومحكومة ـ هذا الرباط الوثيق ، يسودها الوئام والحب المتبادل ، اذ على هذه الأسس تقوم المدنية الفاضلة فيصفو العيش وتطيب النفوس وتأخذ الشرائع المحلية سبيلها في طريق جدد آمن من العثار والزيغ فلا انتقاد ولا شكوى

* * *

من حق اي فرد في الناس ان ينفر وان يظن الظنون في أي شخص يعرقل عليه حاجته العادلة ويسوّف في انجازها ويحيلها من وعد الى وعد ومن اسبوع الى شهر ، من حق ذلك الفرد أن يشكو ويشتط في اللوم والانتقاد ، فالخلف خلق معوج لا ينسجم مع القانون ولا يتقبله عرف الجمهور ، بل الاجماع ينكره وينكر متعاطيه سواء أكان فاعله موظفاً أو كان ذا مكانة بين المجتمع أوهو من غمار الشعب

وليس الاصحيحاً أن يعتقد صاحب الحاجة بالمسؤول وغير المسؤول اذا كان مظنة لقضاء حاجته فوعد بها ثم أخلف وجحد ليس الا صحيحاً ان يعتقد هذا بصاحبه سوءاً واذلالا ؟ واذا حبس صاحبك وعده عن الوفاء به المسؤول لقضاء حاجتك وحبسك عن السعي لها بعد تكفله اياها فانه بئس الصاحب وبئس المواطن وبئس المسؤول . والمطل في المواعيد مكر اذا كان مقصوداً ؛ والمكر السيء لا يحيق الا بأهله ، وقد شاهدنا من الناس من زلت قدمه بعد أن زل ضميره وبات يعج بالشكوى بعد أن كان هو مصدر التجبر الأحمق والكبرياء المرتجل تحت رداء من التصنع الأرعن !

* * *

كوخ الشاعر

آية من آيات الفن ورائعة من روائع الأدب يتحف الصافي بها مجلة البيان .

أخذ الأنام علي جعل قصائدي ... من دونهم وقفاً لشرح خواطري
لم ألف مثل الناس أهل مطامع ... ما ان تحد بأول ، أو آخر
إستعمروا الدنيا وما قنعوا بها ... فسعوا الى استعمار كوخ الشاعر
فأجبتهم ولوا فما أنا منكم ... حتى ولو أشبهتكم في الظاهر
جنسيتي هي غير جنسياتكم ... و(وثيقتي) فكري ولون مشاعري
هيهات أن تصلوا لكوخي عالياً ... طيروا فلن تصلوا لهذا الطائر
ولئن بعثت لكم بنور مبهج ... لا أبتغي منكم جزاء الشاكر
لا تأملوا استعمار نجم مرشد ... أو حبس نور الشمس فعل التاجر
إن شئتم ولوا فلي من دونكم ... صحب هم في الكوخ ملء الخاطر

دمشق — أحمد الصافي النجفي